

# الفِلَسْفَةُ الْاسْلَامِيَّةُ مَدْخَلٌ لِلدراسَةِ والِحْضُورِ

يَقْرَئُ

دُكْتُورُ  
عُزِيزُ الرَّحْمَنِ عَمَّارُ الطَّابِعِي

(٥ - حَوْلَيْهِ أَصْوَلُ الدِّينِ بِالْأَنْوَافِيَّةِ)

3

1

10

1

7

## تمهيد

يتسمى الدارسون للفلسفة - لا سيما هذه الأيام التي ظهرت فيها الاتيارات الإسلامية على الساحة متجردة فاعلة ، ونشطت فيها الاتجاهات السلفية ت يريد أن تعود الأمة إلى عهد سلفها الأول ، وبعد أن تفرقت بهم الطرق إلى غير طريق الله . وتشعبت بهم السبل إلى غير سبيل المؤمنين ، تحاول قدر إمكانها إبعاد الشباب عن دراسة الفلسفة ، وما يتصل بها من علوم المنطق ، والكلام ، والتصوف وغيرها ، لما لذلك من خطر على الإسلام والمسلمين - يتساءل الطلاب ، ويتساءل الشباب عموماً ، ويتساءل كثير من الناس عن قيمة هذا النوع من الدراسة وفائده ، ووجه الحاجة إليه ؟

كما يتتساءل هؤلاء وأوائلهم عن وجه علاقة الفلسفة بالإسلام :

هل هي متفقة معه ، أم مخالفة له ؟

وإذا كانت متفقة مع الإسلام - ولذلك وصفت بأنها إسلامية - فلماذا كان المحظوم عليها ، ومحاربتها ، والفتوى بحرمة الاشتغال بها من أئمة المسلمين وعلمائهم ؟

وإذا كانت مخالفة للإسلام فلماذا وصفت بأنها إسلامية ، ونسبت إلى الإسلام ؟

ولماذا نعم بدراساتها في جامعاتنا ومعاهدنا الإسلامية ، لا سيما ما كان متخصصاً منها لدراسة العلوم الدينية ؟

وإذا كانت متفقة مع الإسلام - كما يقال - في المصدر ، وال موضوع ،

والهدف والغاية ، وغير متفقة معه في بعض نتاجها ، أو حتى على فرض  
الاتفاق معه مطلقاً ، أفلأ نجد في الإسلام متداولة عنها ، وغنية به عما جاء  
فيها ؟ .

ويتساءل البعض : هل ثم فلسفة إسلامية ؟ أم أنها بالأحرى فلسفة  
يونانية كتبت باللغة العربية ، وأرادها المشغلون بها ديناً وعقيدة  
للناس (١) ؟ .

وهذه الأسئلة وغيرها كثيراً ما تردد على لسان الدارسين للفلسفة  
عوماً والفلسفة الإسلامية على وجه الخصوص ، وتردد مثل هذه الأسئلة  
على خواطر البعض وإن لم يفصحوا عنها حباً ومحاجلاً من القائمين على  
تدريساً والاشغال بها (٢) .

ـ والحقيقة : أن « الفلسفة الإسلامية » قد وضعت موضع الشك ،  
والاتهام زمناً طويلاً بل كانت — وما زالت — موجة الشك فجأة طاغية ،  
والمعركة بين أنصارها وخصومها مستمرة تخبو نارها تارة ، ويشتعل ضر امها  
آخرى حتى يومنا هذا ، حيث بدأت الفلسفه تنشط من عقلاً بعد أن برأت  
طعاناً ، واندملت جراحها ، ووجدت لها أعداناً وأنصاراً من المشغلين .  
بها بيدأ في المقابل رد الفعل في الاتجاهات السلفية والتيارات الإسلامية قوية  
عنيفأً يريد أن يكيل حركتها ، بل أن يجتث جذورها ، وبقوض دعائماً  
ويقضى عليها .

(١) وستتناول هذا الموضوع في مبحث مستقل يمشي على تالي تحت عنوان (الفلسفة الإسلامية بين الأصالة والتقليد) .

(٢) أعددت هذا البحث يوم أسلفت إلى دراسة الفلسفة الإسلامية  
جامعة الجزائر كزية ووجدت الاتجاه المذاهض للعلوم الفلسفية والمعادى  
للدارسين لها ، والتساؤلات المتكررة حول حكم دراستها وموضوعية  
الاشغال بها .

وبدأت بالفعل بعض الجامعات في البلاد الإسلامية تطلق أبواباً في وجه الفلسفة وما يتصل بها من علوم ، وإن كانت ماتزال تدرس في الحقيقة تحت مسميات أخرى كاتئارات الفكرية ، والمذاهب المعاصرة وغيرها .

ولكن ما تزال أيضاً بعض الجمادات والمحاولات الأخرى تفتح الأبواب على مصاربها لدراسة الفلسفة عموماً : يونانية، أو إسلامية، أو حديثة، أو معاصرة ، وما يتصل بها من علوم المنطق ، والكلام ، والتصوف وغيرها بدعوى حرية الفكر والرأي ، وفي ظل ساحة الإسلام الذي لا يضيره الباطل وإن علا زبده ، وكثير رغاؤه .

ووسط هذه المواقف المتعارضة ، والتيارات المتضارعة كانت حيرة الشاب ، وتوقف الدارسين والباحثين بين الإقدام والإحجام .

لذا كان لا بد لنا من التقديم ، أو التقييد بهذا المدخل ، ولا بد من الإجابة على هذه النسائلات قبل الشروع في دراسة الفلسفة وما يتصل بها ليكون الدارس أو الباحث على بصيرة من أمره ، واقتناع تام بما يتلقاه من علوم ومعارف تتصل بهذا النوع من الدراسة .

ونقتضينا هذه الدراسة أن نستعرض وجهات نظر العلماء، أو بعضهم في هذه المسألة الخامة، ثم تناول هذه الآراء، وننصل إلى نتائج الحق في المسألة. وبآية التوفيق.

## ١ - الفلسفة الإسلامية بين أنصارها وخصومها

كان الرعيل الأول من المسلمين من حول رسول الله ﷺ ، ومن بعده يتوجهون جميعاً إلى مصدر دينهم : إلى الكتاب الكريم، والسنّة المطهرة يستقون منها العقيدة، والشريعة، والهدى، ومبادئ، الأخلاق الكريمة، ونظام المجتمع الفاضل .

ثم حدث أن اختلاف المسوون وتفرقوا نتيجة كثير من العوامل الداخلية والخارجية وقام في رحاب الإسلام ، وفي جو تعاليه ، وفي مجال الدفاع عن عقيدته ومبادئه ، وفي جو الخلاف السياسي ، والاجتماعي ، والمذهبي كثير من الفرق الإسلامية كالخوارج ، والشيعة ، والمرجئة ، والمعزلة ، والصوفية ، وأهل السنة وغيرهم .

وأضخمى لكل فريق من هؤلاء فكره ، ومبادئه ، وأصول منهجه ... وحاول كل فريق أن يدعم أركان مذهبة بالعقل تارة ، وبالنصر أخرى ... وكانت تنشد بين هذه الفرق والمذاهب كثير من المسائل التي كانت محل جدل وخلاف بينهم ، كما كانت تثور بينهم وبين غيرهم من ذوى الديانات والمذاهب الدينية والفكرية الأخرى كثير من القضايا والمشاكل التي حاول بها أعداء الإسلام وخصومه أن يشيكوا المسلمين في دينهم ، وأن يثيروا بها الفتنة بين صفوفهم ، فانتدب بعض علماء المسلمين أنفسهم للدفاع عن الإسلام ، وكان من ذلك كثير من المذاهب والآراء ، والمعارك الفكرية والعلقية وكان من جملة ذلك أن اجتمع لدى المسلمين من الأبحاث الفكرية والعلقية ما يمكن أن يكون فلسفة خاصة بال المسلمين .

بن أصبح بالفعل علم الكلام - كما يقول «ريتر» - يمثل فلسفه خاصة قائمة بذاتها لها شخصيتها المستقلة، وخصوصيتها المميزة<sup>(١)</sup>، فكانت له مدارسه،

(١) عن : د/ فيصل / علم الكلام ومدارسه / ٦٤ ط الحوية الحديثة

ومذاهبه ، ومواهبه ، وعذاته ، وخصائصه ، وكانت مدارسه  
تغضن وكثير من المفكرين الأدقاء وتتجوّل بالفكرة العميق والدقيق في كثير  
من المعضلات .

كل ذلك كانت تغرس في الساحة الإسلامية قبل أن تترجم العلوم  
الفلسفية .

وكل ذلك قد مهد بالقطع للفكر الأجنبي الدخيل والفلسفة  
اليونانية .

ظلت جاءت الفلسفة بالبحث العقلي فيها وراء الطبيعة ، وفي الأخلاق ،  
وفي المعرفة عموماً: في وسائلها ، ومنابعها ، ونتائجها وجدت في المسلمين من  
تلقيها يشفف ونهم ، ووجدت في بعض الفرق الإسلامية من أمثال المعتزلة  
من أرثي في أحضانها ووجد فيها بيتها وطلبه ، وعوئلاً له على منازلة  
أعدائه وخصومه .

وزاد من اشتغال المسلمين بها تشجيع الخلفاء والأمراء على دراستها  
وتدريسها ومن ثم نفقت سوق الفلسفة وازداد عدد المشتغلين بها .

ووُجِدَ على المسلمين: من الفقهاء، وروجالي الحديث، والتفسير، وأهل  
السنة من المتكلمين وغيرهم من المعنيين بعلوم الدين أن لهذا العمل خطورة  
على الإسلام فقاوموا بمختلف هذه البداعات التي ارتتسس فيها المسلمين بهـ  
بحسن نية، أو بسوء طوية — ورأوا أن ترك الدين وعلومه، إلى فلسفة  
اليونان وعلومهم والاستغفال بها قد يبعد المسلمين عن مصدر دينهمـ .  
فشرعوا في إغاغنـ ساعدـم الدـفاع عن الدينـ ، والعمل على هدم بنـاءـ الفلـسـفةـ ،  
وـتـكـفـيرـ المشـتـغلـينـ بهاـ .

(١) موقف علماء المسلمين من الفلسفة :

ظلت حلات التشكيك في الفلسفة ، والمحروم عليها ، واتهام المشتكفين بها بالتبديع والتسيكيير ، وظل العداء بين العلماء والفلسفه مستحکما ، والخصوصة قائمة وال الحرب دائرة حتى جاء الإمام الحجه : أبو حامد الغزالى (ت ٥٠٥ = ١١١١ م) فضرب بعموله في بناء الفلسفة ضرباً قوياً حتى كاد أن يأني عليه من القواعد ، نجحت لذلك صوتها بعد أن علا زمان طويلا على يد الكندى ، والفارابى ، وابن سينا ، وغيرهم وألف الغزالى كتابه « ثفافت الفلسفه » حصر فيه أغلاط الفلسفه في نحو عشرين مسألة ، فقسمهم في سبع عشرة مسألة منها ، وكفرم في ثلاثة ، هي :

١ - قدم العالم .

٢ - عدم علم الله بالجزئيات .

٣ - وإنكار البعث الجساني .

وجاء من بعده « الشهريستاني » : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ = ١١٥٣ م) فألف كتابه « مصارعة الفلسفه » :

ثم جاء من بعده « الراذى » : نظر الدين (ت ٩٠٩ = ١٢٠٩ م) فألف « المحصل » ، محصل أفكار المقدمين والمتاخرين ، وشرح كتاب الإشارات لابن سينا الذي قال فيه الطوسي : نصير الدين (ت ٦٧٢ = ١٢٧٤ م) إنه قدح وليس بشرح وهو كذلك فعلا ،

وجاء من بعدم الإمام ابن تيمية (ت ٧٢٨ = ١٣٢٨ م) وابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ = ١٣٥٠ م) في كثير من كتبهما حتى انتهت الفلسفه بالجراح .

وإذا كان هؤلاء قد كانوا في نقدم للفلسفه على علم بها ، ومعرفة

يمواضع الضعف والخطأ فيها ، واتبعوا في تقدمها مهجاً على برهانها ، أو جديداً على الأقل ، فإن غيرهم من الفقهاء أو المحدثين ، أو المفسرين لم يكونوا على علم بها جاء فيها وإنما ردوها وحكموا عليها وعلى المشتغلين بها تبعاً للقريقي الأول . ولذلك لم يبنوا لنا علة تحريرها ، وشكير المشتغلين بها ووجه الاختلاف بينها وبين ما جاء به الإسلام .

فيقول د أبو عمرو : عثمان بن عبد الرحمن الشهـ زورى المعروف  
باب الصلاح (٦٤٣) هـ في تحرير المنطق والفلسفة تعليماً وتعلماً ما يقدى  
[إله من الرزدقة والضلال :

« إن الفلسفة هي أمن السفه ، والإخلال ، ومادة الحيرة والضلال ،  
ومثار الزيغ والرزدقة ... ومن تلبيس بها تعليماً أو تعلمـاً قارنه الخزان  
والخرمان ، واستحوذ عليه الشيطان ، وأى فن آخرى من فن يعمى  
صاحبـه ، ويظلم قلبه عن نبوة نبينا محمد ﷺ .. أعادنا الله من الزيغ عن  
ملته ، وجعلـنا من المـهـدين الـهـادـين بـهـدـيـهـ وـسـنـتـهـ .

[وأما المنطق : فهو مدخل الفلسفة ، ومدخل الشرشر ، وليس الاشتغال  
بتعلـيمـهـ وـتـعـلـمـهـ من إباحـةـ الشـارـعـ ، ولا استـباحـةـ أحدـ منـ الصـحـابـةـ والنـابـينـ  
وـالـأـنـمـةـ الـجـهـتـدـينـ ، والـسـلـفـ الصـالـحـينـ .. فقدـ بـرـأـ اللهـ الجـمـيعـ منـ مـعـرـةـ  
ذلكـ وـأـدـنـاسـهـ وـطـهـرـهـ مـنـ أـوـصـابـهـ .

وأما استعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية  
فنـ المـنـكـراتـ الـمـسـبـشـعـةـ وـالـرـقـاعـاتـ الـمـسـتـحـدـمـةـ ، وليسـ فيـ الأـحـكـامـ  
الـشـرـعـيـةـ وـالـحـدـدـهـ — إـنـقـارـ إـلـىـ النـطـقـ أـصـلـهـ .. وـلـقـدـ ثـمـتـ الشـرـعـيـةـ  
وـعـلـومـهـ ، وـعـاـضـ فـيـ بـحـرـ الـحـقـائـقـ وـالـدـقـاقـقـ عـلـمـاـقـهـ حـيـثـ لـاـ مـنـطـقـ ،  
وـلـاـ فـلـسـفـةـ ، وـلـاـ فـلـاسـفـةـ .. .

ثم يقول بعد فتواه في تحرير المنطق والفلسفة دون أدنى سبب يذكره :

قالوا جت على السلطان أن يدفع عن المسلمين شر هؤلاء المشائيم ، ويخربهم عن المدارس ، ويهدى لهم ، ويماقب على الاشتغال بفهم ، ويعرض من أظهر اعتقاد عقائد الفلسفه على السيف ، أو الإسلام لتخمد نارهم ، وتمحي آناتهم ،<sup>(١)</sup>

ومع تقديرنا لابن الصلاح في علمه وورعه ونقواه إلا أنها لا تجده في هذه الفتوى من الخطيئات ما يبررها ، وما ورد منها يدل على عدم علم الرجل بالفلسفة إلا ما سمعه عنها :

١ - فالفلسفة تؤدي - في نظره - إلى الزيغ عن ثبوته ببينا محمد ﷺ وكان الفلسفه لا يؤمنون بالنبوة والأنبياء ، ولا بما جاءوا به وهي دعوى عارية عن الدليل<sup>(٢)</sup> .

٢ - المنطق مدخل للشر والاشغال به لم يحبه الشارع ولا المحاجة ولا التابعون ، ولا الأئمة المجتهدون فقد برأ الله الجميع منه ، والمعروف أنه لم يكن في زمان الصحابة والتبعين منطق ولا فلسفة ولا فلاسته ،

٣ - استعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية

(١) ابن الصلاح / الفتاوى / ٣٤ ، ٣٥ ط القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ .

(٢) وقد كان بعضهم مؤلفات خاصة وقد ذكره ابن القيديم رسالة خاصة في إثبات النبوة والرسول ، وبآخر في إنفصال مسائل المحدثين دراجع الفهرست ط القاهرة / ٣٦٢ ، وصوان الحكمة طبع لا هو رد ١٩٣٥ المصادر وقد كان الجمیع يقولون على حاجة البشر إلى النبوة لأن الفلسفة لا تغني عنها .

من المنكرات. وليس فيها انتشار إلى المنطق أصلًا... ونرى أن هناك  
علمًا قائمًا على المنطق من أعم العلوم الشرعية وهو علم «أصول الفقه».

وسرى فيما يأنى كيف أباح الإمام الغزالى الاشتغال به، والارتفاع  
بما جاء فيه. لأنه مجرد أدلة لا يصلح الحكم عليه بـ«كفر أو بغيره»،  
ولا يسوغ لأحد أن يمنع الاشتغال به، بشرط عدم الغرور بما جاء عن  
اليونان، وإعتقد أن جميع ما جاءوا به هو بهذا القدر من الدقة.

٤ - يلحق «ابن الصلاح» الفلاسفة والمشتغلين بالفلسفة والمنطق.  
بالمرتدین عن الدين فيجب أن يعرضوا على السيف أو الإسلام...  
والمقروف أن الفلسفة فكر لا عقيدة، ومذهب لا دين، وأنهم وإن  
أخطأوا لا يمكن لحاكمهم بالمرتدین عن الدين.

== ويقول صاحب كتاب مفتاح السعادة: «المولى أحد:المعروف  
بطاش كبرى زادة (ت = ٦٩٦٢ م)»:

«إن كل ما خالف الشرع فهو مذموم سبباً طائفية سموا أنفسهم [حكماء  
الإسلام] عكفوا على دراسة ترهات أهل الغلال. وسموها [الحكمة]  
وربما استجهلوا من عرى منها، وهم أعداء إلهه، وأعداء أنبيائه ورساله،  
والمعرفون كلم الشريعة عن مواضعه، ولا تكاد تلقى أحداً منهم يحفظ  
قرآنًا، ولا حديثًا، وإنما يتجلبون برسوم الشريعة حذرًا من تسلط  
المسلمين عليهم. وللأفهم لا يعتقدون شيئاً من أحكام الشرع، بل يريدون  
أن يهدموها واعده وينقضوا عراؤه عروة عروة، ثم يخذل المسلمين منهم.  
ومن الاشتغال بهم يقول:

«فالخذل الخدر منهم، وإنما الاشتغال بمحكمتهم حرام، وهم أضر على عوام

ال المسلمين من اليهود والنصارى لأنهم يسترون بزى أهل الإسلام<sup>(١)</sup>.

ونحن مع «زاده» في أن كل ما خالف الشرع فهو مذموم . وأن ضرر الفلسفة متحقق بالنسبة للعامة من الناس . ولكن ليس كل ما جاء في الفلسفة خالف الدين ، كما أن الفلسفة قد حذروا العامة ومن ليس أهلاً للفلسفة من الاشتغال بها أو حتى مجرد الاطلاع عليها .

أما ادعاءاتهم لا يعتقدون شيئاً من أحكام الشريعة ، وأنهم يريدون هدم قواعد الدين عروة ، وأنهم أعداء الله وأعداء نبيه الحبيب كل ذلك لأنهم عكفوا على دراسة ترهات أهل الضلال فهى في الحقيقة دعاوى يعوزها الدليل .

ويقول صاحب كتاب الدر المختار ، علام الدين محمد بن علي الحصى  
(ت ١٠٨٨ = ١٦٧٧ م) :

«واعلم أن نعلم العلم يكون فرض عين : وهو يقدر ما يحتاج إلية المسلم لدنيه .

وفرض كفاية : وهو ما زاد عليه لنفع غيره .

ومندوباً : وهو التبحر في الفقه ، وعلم القلب .

وحراماً : وهو علم الفلسفة ، والشعبدة ، والتنجيم ، والرمل ، وعلوم الطاغيين والسرج ، والكمامة<sup>(٢)</sup> .

(١) زاده : طاش كبرى / مفتاح السعادة ١/٢٧٧٧ عن عبد الرزاق الشيخ مصطفى / المتيود ٣٨٦ دار النهضة .

(٢) الحصى : علام الدين محمد بن علي / الدر المختار ١/٣٠ عن

ويقول «المقريزي» (ت ٨٤٥) :

«إن الفلسفة جرت على الإسلام مala يوصف من البلاء»<sup>(١)</sup>.

وبلغت «الخصوصي» الفلسفة بالسحر، والكمامة والشعبدة، والتنبؤ، والرمل الخ ولا يرى فرقاً بينها وبين ذلك كله في حرمة الاشتغال بهما

ومن هؤلاء من ذكر لنا علة تكفير الفلسفة وحرمة الاشتغال بالفلسفة ولكن بنوع من الإيجاز :

يقول الخوارزمي، جمال الدين : أبو بكر محمد بن العباس (ت ٢٨٣)

= (٩٩٣ م) :

... تم اعتقاد الفلسفة أن الآلة ثلاثة : المبدأ، والعقل، والنفس .  
ونقضوا بكون العقل والنفس أزليين ، وبنقضون الصفات ، ولا يقولون إن  
الله حى عالم قادر صريح متكلم أبته ، وزعموا أن الحركات أزلية  
سردية إلى غير ذلك ، فهم مشركون ملحدون لعنهم الله»<sup>(٢)</sup>.

وقوله إن اعتقاد الفلسفة أن الآلة ثلاثة إزام لهم وليس مذهبهم  
ذلك وإنما الإله هو المبدأ الأول ولذلك نفوا صفاتيه وأبطلوا خلقه للعالم  
مباشرة لتحقيق معنى التوحيد .

وأما أن العقل والنفس أزليان فهذا صحيح فهم يقولون بأزلية العقول  
والنفوس والحركة والزمان والمادة جمعاً . وذلك لا يتعارض الشرك وإنما  
يقتضي الإيجاب ، وعدم الخلق . ولهذا فهم يقولون بالتصور بدلاً من الخلق  
كذلك ليس كل الفلسفه يقولون بالقدم : غالكنتي مثلاً يقول

(١) المقريزي / الخطط ٤/١٨٤، ١٨٣/١٤٤ ط القاهرة ١٣٢٦

(٢) مفيض العلوم ومبيد المفهوم ٦٢، ٦١/٨٨ عن التبييد

بالحدوث وبقول بالخلق ، كما يقول بناهى العالم<sup>(١)</sup>

وأما فقهمه للصفات وقوفهم بان الصفات عين الذات فهذا شيء قريب من مذهب المعتزلة كما يقول العزالي فلا تكفرهم به .

ويلاحظ أن أشد الخلوات على الفلسفة والفلاسفة قد جاءت من لا صلة لهم بالفلسفة ، أو لاعلم لهم بها ، ولذلك جاءت أحکامهم عارية عن الدليل ، ولم يسوقوا لنا امثلة مقنعة لاتهام فضلاً عن التكفير .

وأما من كانوا على علم بها فربما جاءت أحکامهم وموافقيهم أقل تشنجاً وتعصباً من تلك التي سبقت لا سيما من كانت لهم صلة بالفلسفة كالعزالي والرازي والأصفهاني وغيرهم . فهم لم يردوا جميع ما جاءت به الفلسفة جملة ، ولكنهم يرون فيها حقاً وباطلاً ، وأن من واجب المسلم أن لا يرد الحق في جملة الباطل ، بل عليه أن يفرق بينهما ، وأن لا تتحمله الخيبة للدين هل أن لا يستفيد مما يخدمه ، أو يخدم دينه ، ويبرأ حقه ، فإن " رد ذلك في نظر الغزنوي يتعذر جهلاً وحقاً .

ولذلك جاء نقدم الفلسفة والفلاسفة نقداً موضوعياً ، واتبعوا في نقدم متىجاً علينا ، وإن جاء بجديلاً في بعض المسائل ليبيان إمكان التشكيل في مناجاتهم وبراهين العقل عندم حتى يجدوا من غلوائهم ، ويهذوا عن غرورهم .

ولذا كان الفريق الأول لم يبيتوا لنا علة التحرير والتکفير ، كما لم يبيتوا لنا وجوه الاختلاف بين الدين والفلسفة .

فإن الفريق الثاني قد بين لنا ذلك في تحديد واضح ، وفي تفصيل بين

(١) انظر تاريخ الفلسفة لديمود ١١٨ وبين الدين والفلسفة ٥٢

وأفردوا لذلك الكثير من المؤلفات والكتب التي فضحاها فيها أفكار  
الفلسفه وفندوا فيها آرائهم ، وأفراهم .

نجد ذلك كما أشرنا من قبل في « مصارعة الفلسفه »<sup>(١)</sup> للشبرستاني  
و « تماقث الفلسفه » للغزالى ، و « محصل أفكار المتقديرين والمتاخرين »  
و « شرح الإشارات » للرازى ، وفي كثير من كتب ابن تيمية ، وابن قيم  
الجوزية وغيرهم .

وقد كان هؤلاء جميعاً موافقاً مشهودة ومشهورة من الفلسفه  
والفلسفة ، والمعتنلة وغيرهم من مجتمع مجتمع الفلسفه ، واتبع آرائهم .  
ولم يفعلوا شيئاً من ذلك إلا بعد دراسة متأنيه ومعرفة تامه برأى  
الفلسفه ، لأن « رد المذهب قبل فمه » والاطلاع على كنهه روى في عصابة ،<sup>(٢)</sup>  
كما يقول الغزالى .

ولهذا عكف الغزالى على دراسة الفلسفه لمدة ثلاث سنوات يقرأ كتبهم  
ويراجع آرائهم حتى ألف في ذلك كتابه « مقاصد الفلسفه » .

ثم انتهى إلى الحكم بأنّ بمجموع ما صاح عنده من فلسفة « أرسطوا  
طاليس » بحسب نقل الفارابي وابن سينا يحصر في ثلاثة أقسام :

١ - قسم لا يجب إذكاره أصلاً .

٢ - قسم يجب التبديع به .

(١) ولعل الأصح هو « مصارع الفلسفه » وقد رد عليه نصر الدين  
الطوسي بكتاب آخر أسماه « مصارع »، المصارع على نمط « التهافت »  
و« تهافت التماقث »، ولكن أشتركت الكتاب الأولى باسم « مصارعة الفلسفه »  
والثانى باسم « مصارعة المصارعه » .

(٢) المنقد من الضلال / ١٣٨ تحقيق د : عبد الحليم محمود ط الأنجلو  
المصرية / ١٩٦٢ م

٣ - وَقْسِمْ يَحْبُّ التَّكْفِيرَ بِهِ<sup>(١)</sup>

وَبَيْنَ فِي «الْتَّهَافَتِ» أَنَّ الْخِلَافَ بَيْنَ الْفَلَاسِفَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْفَرَقِ  
يَنْحَضُّ فِي ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ :

١ - قَسْمٌ يَرْجُعُ النِّزَاعَ فِيهِ إِلَى الْلَّفْظِ ذَهَطَ كَتْسِيمِهِمْ صَاحِبُ الْعَالَمِ  
جَوْهَرًا مَعَ تَفسِيرِهِمْ لِلْجَوْهَرِ بِأَنَّهُ الْمُوْجُودُ لَا فِي مَوْضِعٍ .

٢ - وَقَسْمٌ لَا يَصُدِّمُ مَذَهَبَهُمْ فِيهِ أَصْلًا مِنْ أَصْوَلِ الدِّينِ، وَلَيْسَ مِنْ  
ضَرُورَةِ تَصْدِيقِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَرْسَلِ (كَبَعْضِ الْمَسَائلِ الْفَلَسْكِيَّةِ أَوِ الْرِّياضِيَّةِ  
أَوِ الْغَيْرِهَا) .

٣ - وَقَسْمٌ يَتَعَلَّقُ النِّزَاعُ فِيهِ بِأَصْلٍ مِنْ أَصْوَلِ الدِّينِ كَالْقُرْوَلِ فِي  
حَدُوثِ الْعَالَمِ، وَصَفَاتِ الصَّانِعِ، وَبَيَانِ حَشْرِ الْأَجْسَادِ وَالْأَبْدَانِ .. فَهَذَا  
الْفَنُ وَنَظَائِرُهُ هُوَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَبْيَنَ فَسَادَ مَذَهَبِهِمْ فِيهِ دُونَ مَا عَدَاهُ<sup>(٢)</sup>  
وَبَيْنَ الغَرَّالِ : أَنَّ مَا لَا يَحْبُّ أَنْسَارَهُ : كَالرِّياضَاتِ، وَالْمَنْطَقَاتِ،  
وَالْطَّبِيعَاتِ وَالسَّيَاسَاتِ وَالْأَخْلَاقَاتِ فَهَذِهِ فِي مَعْظَمِهِمْ لَا يَتَعَلَّقُ شَيْءٌ مِنْهَا  
بِالْدِينِ فَيَا أَوْ إِنْبَاتَا، وَإِنْ كَانَ قَدْ ذُكِرَ لِكُلِّ فَنٍ مِنْهَا آفَاتٌ لَا تَعُودُ  
إِلَيْهَا فِي ذَاتِهَا .

ثُمَّ يَبْيَنُ أَنَّ مَا يَحْبُّ تَبْدِيعَهُمْ فِيهِ وَمَا يَحْبُّ تَكْفِيرَهُمْ هُوَ مَا يَتَعَلَّقُ  
بِالْأَهْمَاءِ الَّتِي أَلْفَ كَتَابَهُ «تَهَافَتُ الْفَلَاسِفَةُ»، لِبَيَانِهَا .

— وَلَكِنَّ الَّذِي يَحْبُّ أَنْ يَعْلَمَهُ هُوَ : أَنَّ الغَرَّالِ حِينَ حَلَّ حَلَتْهُ  
الْمُشْهُورَةُ عَلَى الْفَلَسْفَةِ وَالْفَلَامِسَةِ فِي كِتَابِهِ التَّهَافَتِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْكِتَبِ  
الَّتِي أَلْفَهَا لِلْجَمْهُورِ لَمْ يَرِدْ بِهَا أَنْ يَحْقِّقَ الْحَقُّ وَيَمْطَلِّبَ الْبَاطِلَ وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهَا

(١) راجع المتفق من الصالل / ١٣٩، ١٣٨

(٢) راجع تهافت الفلسفه / ٧٩ - ٨١ تحقيق د/ سليمان دنيا ط٦  
دار المعارف

إرهاق المجهور من جانب وتشكيل المسلمين في الفلسفة لاسباباً من حسن اعتقاده فيها ، وبيان أن ما ادعوا فيه الفلسفة الوصول إلى اليقين بمحنة العقل والمنطق يمكن التشكيل فيه وهدمه بمحنة العقل أيضاً من جانب آخر ، وكأنه أراد أن يبين الفلسفة ولناس جهيناً أن العقل وحده في مجال الشرع وميدانه هو أبعز من أن يصل إلى الحق ، وأن يتحقق اليقين .

وهذا هو ماصرخ به الغزالى ولذلك فإن هذه الكتب لا يصور مذهبها ولا تدل لرأيه الذى يدين به ، أما رأيه الذى يدين به ويعتقد أنه قد أودعه كتبه الذى كان يصنّع على الناس إلامن توفرت فيه شروط الأهلية لفرامتها .

ولذلك نراه يقول في كتاب آخر ي بعض ما أبطله في كتبه العامة كتاب «التهافت» .

وهذا هو ما قرره أستاذنا الدكتور / سليمان دنيا في مقدمة كتاب التهافت تحت عنوان «قيمة كتاب التهافت من وجهة نظر الغزالى»<sup>(١)</sup> .

ويضيف إلى ما تقدم أن الغزالى قد ألف كتاب «التهافت» حين كان يطلب الجاه والشهرة وبعد الصيت فناصر المذهب الذى يحمل له كل ذلك ، لا المذهب الحق فى ذاته .

ويقول : ولست نظم الغزالى حين نقول عنه : إنه في تلك الفترة التي ألف فيها كتاب التهافت كان يطلب الجاه والشهرة وبعد الصيت ، فهو الذى يتحدث بذلك عن نفسه في تلك الفترة فيقول :

«ثم تفskرت في نبى .. فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى ، بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت ، .

(١) تهافت الفلسفه / ٦٦ - ٧٠

ويقول في مكان آخر : «وكنت في ذلك الزمان - يشير إلى أيام بغداد حين ألف كتاب «النهافت» - أنشر العلم الذي به يكتب الجاه، وأدعو إليه بقولي وعملي ، وكان ذلك قصدي وينتهي»<sup>(١)</sup> .

ويقول أستاذنا الدكتور عبد الحليم محمود وكان من المبادرين بالإمام الغزالى :

«ولم يكن مقصد الغزالى الأول ، والمهدف الأساسى لكتابه هدم الآراء نفسها فبعضها صحيح موافق للدين ، - ولكن - هدم «المفهوم العقلى» الذى استندت إليه هذه الآراء [ وضرر لذلك المثل بخلود النفس ] » .

ثم يقول : «إنه لم يلزمه فى هذا الكتاب إلا تكدير مذهبهم ، والتغيير فى وجه أدلةئهم بما يبين تهافتهم ، ومقصوده : تنبيه من حسن اعتقاده فى الفلسفه ، وظن أن مالكتهم نقية عن التناقض ببيان وجوه تهافتهم » .

ثم يقول أيضاً : إن التشكيك الفلسفى الذى اصطبه الغزالى على تطرفه بعض الشىء قد أدى إلى النتيجة التي أتمنى إلهاه كانت فى المطابع .. حيث قضى على المذهب العقلى الذى كان موضع إلزاهو على الرغم من ححالته»<sup>(٢)</sup> .

وهكذا حاول الغزالى أن يهدم النظرية المعقولة الغالية فى علم الكلام والفلسفه<sup>(٣)</sup> .

(١) أنظر المقدمة من الضلال / ٦٩ ونهافت النهافت / ٦٩

(٢) الإسلام والمقل / ٨١ - ٨٥ ط دار المعارف / ١٩٨٠ م.

(٣) موسى : د/محمد يوسف : بين الدين والفلسفه / ٢٢٧ دار المعارف

وهذا أيضاً هو الذي لا حظه من قبل كل من الفيلسوف الأندلسي :  
أبو بكر بن طفيل (١١٨٥ - ١٥٨١ م) وأبو الوليد بن رشد (١٥٩٥ - ١١٩٨ م) :

يقول ابن طفيل أن « الغزالى » يحسب مخاطبته لجمهور يربط في  
موضع ويحمل في آخر وبكلور بأشياء ، ثم ينتحلها ، وضرب لذلك مثلا  
بمسألة إسکار البعث الجسدى التي كانت من أهم أسباب تكفیره للفلاسفة ،  
مع أنه لا يبعد أن يكون هذا هو رأيه الخاص على ما يردد من كتاباته :  
« ميزان العمل » و « المنقذ من الضلال » .<sup>(١)</sup>

ويرى ابن رشد : « أن الغزالى قد اضطر لأن يقول ما لا يعتقد من  
أجل ذمته ، ومكانة .

وملاحظة فيلسوف الأندلس هذه هي التي جعلت « مونك » يؤكد أن  
للغزالى مؤلفات مضمنة فيها على غير أهلها .<sup>(٢)</sup>

ولعل ما يؤكد هذا ما صرّح به الغزالى نفسه في كتابه « ميزان العمل »  
من أن الآراء ثلاثة أقسام :

١ - رأى يشارك فيه الجمهور فيما عليهم .

٢ - ورأى يكون بحسب ما يخاطب به كل سائل ومسترشد .

٣ - ورأى يكون بين الإنسان وبين نفسه لا يطلع عليه إلا من هو  
شريك في اعتقاده .<sup>(٣)</sup>

(١) حى بن يقطان : ١٣ نشر المستشرق جوتية عن بين الدين  
والفلسفة ١٩٦٤ : محمد يوسف موسى

(٢) موسى : د/محمد يوسف / بين الدين والفلسفة ١٩٦٤

(٣) المرجع السابق ١٩٦٤ .

وأما الملامة ابن خلدون فقد عقد فصلاً تاماً في مقدمته لإبطال الفلسفة وأثنى من رده عليها إلى أن هذا العلم «غير واف بمقاصده التي حومهوا عليها مع ما فيه من خالفة الشرائع وظواهرها وليس له — كما يقول — فيما علمنا إلا نمرة واحدة وهي شحذ الذهن في ترتيب الأدلة والحجاج لتعصيل ملوك الجودة والصواب في البراهين، وذلك أن نظم المقاييس وتركيبها على وجه الإحكام والإتقان هو كاشر طوه في صناعتهم المنطقية فيستولى الناظر بكلمة استعمال البراهين بشرطها على ملوك الإتقان والصواب في الحجاج والاستدلالات»، فهي أصح ما علمناه من قوانين الأنطارات<sup>(١)</sup>.

وابن خلدون لا يمنع الناظر في كتب الفلسفة والإطلاع عليها مادام الناظر فيها غير خلو من العلوم الشرعية بل عمدنا من الشرعيات، حتى يسلم من معاطيها، كما لا يمنع الإشتغال بالمنطق أيضاً بل يرى فيه منهجاً علمياً هو أصح ما علمه من قوانين الفكر والعقل.

(١) ابن خلدون / المقدمة / ج ٤ / ٦٣ ط الشعب (كتاب التحرير) ١٣٨٦

### (ب) موقف الفلاسفة

ما سبق كان رأي علماء الإسلام في الفلسفة والفلسفه ، ولكن  
الفلسفه أنفسهم رأى آخر في الصلة بين الدين والفلسفه يختلف عن رأي  
سابقين .

فهي يرون: أنه لا تعارض مطلقاً بين الدين والفلسفه ، بل يتفق الدين  
والفلسفة كلامها غاية ، ومصدراً ، و موضوعاً .

فمقصد الشرع والدين هو: معرفة «الحق»، و«الخير»، والعمل بهما ، وهو  
مقصد الفلسفه كذلك في جانبها النظري ، والعمل .

ومصدر كل من الدين والفلسفه واحد : وهو واجب الوجود الذي  
يفرض عليه ووحيه على العقول البشرية ، والآنيات بواسطة العقل الفعال  
عند استعدادها لقبول هذا الملم أو الوجهي .

وموضوع كل منها واحد : لأن في علم الأشياء بعاقبتها – وهو  
معنى الفلسفه – علم الربوبية وعلم الوحدانية ، وعلم الفضيلة ، وبجملة علم  
كل نافع والسبيل إليه ، والبعد عن كل ضار والاجتناس منه ، وانتهاء  
هذه بحثاً هو الذي أتت به الرسول الصادقة عن آله ،<sup>(١)</sup>

ومن أجل ذلك جاءت الفلسفه الإسلامية بمحاولة التوفيق بين الدين  
والفلسفة في كل ما يمكن أن يقال إن الفلسفه فيه خالق الدين ،

نجد ذلك عند الكوفي ، والفارابي ، وأبي سعيد ، وأبي رشد وغيره  
من فلاسفه الإسلام وهذا هو العمل الذي من أجله اعتبره ولاه فلاسفة .

(١) الكوفي / الرسائل / ٢٧٢ وما بعدها .